حواشي الزمخشري على المفصل في علم العربية

أ.د / محمد محمد فهمي عمر

كتاب المفصل في علم العربية لجار الله محمود بن عمر الزمخشري « ت ٥٣٨ هـ » (١) يعد نموذجا فريدا في منهجه النحوي فلم يسبقه أحد من المتقدمين من النحاة الى هذا المنهج ، ولم يسلك سبيله أحد من المتأخرين .

فالزمخشري في مفصله قسم أبوابه الى أربعة أقسام :

أولها : في الأسماء ـ المعرب والمبني منها ـ .

ثانيها : في الأفعال ـ المعرب والمبني منها ـ وما يتعلق بالأفعال من قضايا تصريفية .

ثالثها : في الحروف .

رابعها : في المشترك بين الأسماء والأفعال .

وقد فصل الزمخشري كل قسم من هذه الأقسام تفصيلا حتى رجع كل شيء الى نصابه ، واستقر في مركزه ، ولم يدخر فيما جمع فيه من الفوائد المتكاثرة ، ونظم من الفرائد المتناثرة مع الايجاز غير المخل ، والتلخيص غير المل (٢) .

---

(١) ينظر ترجمته في انباه الرواة ٣/٢٦٥ : ٢٧٢ ، وبغية الوعاة ٢/٢٧٩ ، ٢٨٠ ونزهة الألبا ص ٤٦٩ : ٤٧٢،ووفيات الأعيان ٢/١٠٧ : ١١٠ ، وغيرها .

(٢) ينظر مقدمة المفصل ص ٥ (ط ٢ ـ دار الجيل ـ بيروت) .

ولقد عكف العلماء على المفصل ، فمنهم من شرحه ، ومنهم من علق عليه ، ومنهم من شرح أبياته (٣) .

ولذا يعد المفصل أكثر كتب العربية التى توفر عليها العلماء بالشرح والتعليق بعد كتاب سيبويه ، ومعظم هذه الشروح قد حجب الزمن بقرونه الكثيفة بيننا وبينها ، فلم نر منها الا القليل ، ومن أشهر هذه الشروح شرح ابن يعيش « ت ٦٤٣هـ » .

ومن أقدم ما كتب على المفصل من حواش وتعليقات ، ما سجله صاحب المفصل نفسه على مواضع من كتابه ليزيل ما قد يعتريها من غموض ، ويبين ما فيها من اشكال .

ولحواشى المفصل نسخة خطية فريدة فى مكتبة ليدن بهولندا تحت رقم « ١٦٤ » ، وفى حوزتى نسخة مصورة عنها (٤) .

وفى هذا البحث أضع بين يدى القارىء الكريم عرضا وتحليلا لهذه الحواشى ، وآمل أن تخرج مطبوعة مع كتاب المفصل ليعم بها النفع ، وتزداد الفائدة ، وبخاصة أن هذه الحواشى تعد شرحا موجزا دقيقا للمفصل بيد صاحب المفصل نفسه .

وصف المخطوطة :

عنوانها : حواش ذكرها جار الله العلامة أبو القاسم محمود بن

---

(٣) ينظر شرح المفصل للفخر الرازى (عرائس المحصل من نفائس المفصل) ، المجلد الثالث الأفعال ٦/١ : ١٢ رسالة دكتوراة ـ بكلية اللغة العربية بأسيوط سنة ١٩٨٣م تحقيق صاحب البحث .

(٤) يوجد نسخة مصورة أيضا عن نسخة ليدن بهولندا فى مركز البحث العلمى بجامعة أم القرى تحت رقم ١١٢ .

عمر الزمخشرى ــ رحمه الله ــ على مواضع من كتابه المعروف بالمفصل فى بيان مشكلها •

عدد الأوراق : ثلاث وسبعون صفحة •

عدد الأسطر : تسعة عشر سطرا فى الصفحة •

نوع الخط : نسخ معتاد الا أنه غير واضح فى بعض الأحيان ، ولعله من التصوير •

الناسخ : لم يذكر اسم الناسخ ، ولا تاريخ النسخ ، ولعل الناسخ قد نقل هذه الحواشى والتعليقات من نسخة للمفصل بخط الزمخشرى نفسه ، أو بخط أحد تلامذته •

توثيق نسبة الحواشى للزمخشرى :

أولا : عنوان المخطوطة صريح فى نسبتها الى الزمخشرى •

ثانيا : أجمعت كتب التراجم على أن كتاب المفصل للزمخشرى ، وهذه الحواشى يبدو أنها كانت على هامشه ونقلت بعد ذلك الى نسخة مستقلة عن طريق النساخ •

ثالثا : أن أحد شراح المفصل ، وهو الامام فخر الدين الرازى « ت ٦٠٦ هـ » فى كتابه « عرائس المحصل من نفائس المفصل » ، قد أشار الى هذه الحواشى ، وذكر أنها للزمخشرى ، ونقل عنها فى أكثر من موضع ، ومن ذلك :

١ ــ يقول الفخر الرازى عند حديثه فى باب « كان » عن قول مروان بن فزارة :

فلئك لا تبالى بعد حول أظبى كان أمك أم حمار

« قال فى الحواشى : الظبى مثل فى الضعف ، والحمـــار مثل فى القوة ، يقال : أيهما كان أبوك فلا أبالى بك » (٥) •

٢ ــ فسر سر عدم تصرف الجملة التعجبيـــة ، فقال : « قال فى الحواشى : من الجمل ما أجروه مجرى المفردات فكما لا يجوز التصرف فى المفردات فى تغيير صيغها ، كذلك بعض الجمل ، من تلك : الأمثال، وفعلا التعجب ، وفعلا المدح والذم » (٦) •

رابعا : ذكرت فهارس المخطوطات نسبة هذه الحواشى للزمخشرى، واطلق عليها البعض : حاشية المفصل (٧) •

خامسا : نص فى الحواشى على أن « هل » لا يبتدأ بعدها الكلام، وأنها يليها الفعل لا محالة ، وهذا القول لم يثبت لغيره من النحاة (٨)•

منهج الزمخشرى وطريقة عرضه فيها

نهج الزمخشرى فى حواشيه نهجـــا دقيقـــا ، فتعرض بالتعليق لمواضع متفرقة من كتابه المفصل ، رأى أنها تحتاج لمزيد من التوضيح والشرح ، وازالة ما فيها من اشكال ، أو تفصيل ما فيها من اجمال ، فتراه يحرص على تفسير الكلمات الغامضة ، والعبارات التى تحتاج الى بيان ، كذلك عنى بالشاهد النحوى ، فعلق على جانب كبـــير من الشواهد القرآنية والشعرية ، وأمثال العرب وأقوالهم ، موضحا سبب

---

(٥) عرائس المحصـــل (المجلد الثـــالث : الأفعـــال) ٢/٢٦٤ ، والحواشى الورقة ٥٢ و ، ظ •

(٦) المصدر السابق ٢/٣٧٥ ، والحواشى الورقة ٥٣ ظ •

(٧) فهرس النحو ـ مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسـلامى ـ جامعة أم القـــرى ص ١٧٧ •

استشهاد النحاة ، ذاكرا آراء النحاة ان كان فى المسألة خلاف ، مفسرا معنى الشاهد ، والمناسبة التى قيل فيها فى بعض الأحيان ، كما بسط بعض القواعد النحوية التى تحتاج الى بسط ، ولذا تعد هذه الحواشى بحق شرحا موجزا دقيقا للمفصل .

وسأذكر بالتفصيل والتحليل هذه الجوانب التى اعتمد عليها منهجه ، داعما قولى بنصوص من الحواشى مع ربطها بكتاب المفصل .

أولا : شرح الكلمات الغامضة التى ذكرت فى متن المفصل ، واليك بعض الأمثلة :

١ ــ قال فى المفصل فى مقدمة الكتاب : « ... وأبى لى أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز » (٩) .

وعلق فى الحواشى موضحا معنى « صميم » فقال : « قوله : « عن صميم أنصارهم » الصميم : الخالص وصميم الحر والبرد أشدهما ، وأصل الصميم العظم الذى هو قوام العظام ، ويقال أيضا: هو صميم قومه ، ويقال : هو من عميمهم ، أى صميمهم ، وهذا كما يقال : خذ ما عفا لك وصفا » (١٠) .

٢ ــ قال فى المفصل فى مقدمة الكتاب أيضا:« وأنضوى الى لفيف الشعوبية ولداز » (١١) .

---

(٨) ينظر الحواشى الورقة ١١ ظ .

(٩) المفصل ص ٢ .

(١٠) الحواشى ورقة ١ و ، وفى الصحاح (صمم) « وصميم الشىء: خالصه يقال : هو فى صميم قومه » ، وفى مادة (عمم) : « هو من عميمهم أى : صميمهم » .

(١١) المفصل ص ٢ .

وعلق فى الحواشى موضحا معنى « لفيف الشعوبية » فقال : « قوله : « الى لفيف الشعوبية » لفيف العسكر ضد ميمهم ، واللفيف قوم من العرب اجتمعوا من قبائل شتى ، والشعوبية لقب لقبيلة عادت العرب غير محمودة ، وقيل : الشعوبى الذى يصغر شأن العربى ، ولا يرى لهم فضلا على غيرهم ، ونظيره فى النسبة الى ما هو جمع «أبناوى» فى النسبة الى أبناء فارس ، وانما قيل لهم الشعوبية لتعلقهم بظاهر قوله تعالى « وجعلناكم شعوبا وقبائل » (١٢،١٣) •

٣ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن خصائص الاسم : « وله خصائص منها : جواز الاسناد اليه ••• » (١٤) •

وعلق فى الحواشى موضحا معنى « خصائص » و « جواز الاسناد اليه » فقال : « •• وقوله : « وله خصائص » جمع خصيصة ، وهى تأنيث الخصيص بمعنى الخاص ، ثم جعلت اسما للشىء الذى يختص بالشىء وقوله : « جواز الاسناد اليه » اسناد الشىء للشىء جعله أخص مذكور به ••• » (١٥) •

٤ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن المصادر المنصوبة بأفعال مضمرة : « ••• والنوع الثانى قولك : سقيا ورعيا وخيبة ، وجدعا ، وعقرا ، وبؤسا وبعدا ••• » (١٦) •

وعلق فى الحواشى مفسرا معنى « عقرا » فقال : « •• وقوله :

---

(١٢) سورة الحجرات من الآية ١٣ •
(١٣) الحواشى الورقة ١ و •
(١٤) المفصل ص ٦ •
(١٥) الحواشى الورقة ٢ ظ •
(١٦) المفصل ص ٣٢ •

« عقرا » أى : عقرت عقرا ، ويجوز أن يكون من العقرة ، وهى خرزة تعلقها المرأة فتعقر ، أى عقرت عقرا » (١٧) .

٥ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن « لات » المشبهة بليس : « و « لا » التى يكسعونها بالتاء هى المشبهة بليس بينهما ، ولكنهم أبوا الا أن يكون المنصوب بها حينا ... » (١٨) .

وعلق فى الحواشى مفسرا معنى « يكسعونها » فقال : « قوله : « يكسعونها » أى يضعونها فى آخر الكلمة من « كسعه » اذا ضربه من خلفه ، واستعاره لزيادة الحرف أخيرا » (١٩) .

٦ ــ عند حديثه فى المفصل عن أصناف الفعل الثلاثى المجرد والمزيد ذكر مجموعة من الأمثلة منها : « حوقل » للملحق بدحرج ، و « تسهوك » و « ترهوك » بزنة : تفعلل بناء مقتضبا (٢٠) .

قال فى الحواشى مفسرا معنى « حوقل » : « حوقل الشيخ : كبر وفتر عن الجماع » (٢١) ، وفسر معنى « تسهوك » و « ترهوك » فقال : « ترهوك وتسهوك فى مشيته ، وهى مشية قبيحة » (٢٢) .

---

(١٧) الحواشى الورقة ١٥ ظ ، وينظر الصحاح مادة (عقر) .

(١٨) المفصل ص ٨٢ .

(١٩) الحواشى الورقة ٢٧ ظ ، وفى الصحاح مادة (كسع) : « الكسع : أن تضرب دبر الانسان بيدك أو بصدر قدمك ، يقال : اتبع فلان أدبارهم يكسعهم بالسيف ، مثل يكسوهم أى : يطردهم ، ومنه قول الشاعر :

كسع الشتاء بسبعة غبر »

(٢٠) ينظر المفصل ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٢١) الحواشى الورقة ٥٣ ظ .

(٢٢) الحواشى الورقة ٥٣ ظ .

ثانيا : توضيح العبارة التى تحتاج الى بيان ، وابـراز أسرار التركيب فيها ، واليك بعض الأمثلة :

١ ـ قال فى المفصل فى مقدمة الكتاب : « الله أحمد على أن جعلنى من علماء العربية » (٢٣) .

وعلق فى الحواشى بقوله : « قوله : « الله أحمد » بدأ بالاسم ، ولم يذكر الفعل ، ولو قال : أحمد الله لكان خبرا جاء بلا تأكيد ولا تخصيص وقوله : « من علماء العربية » أى اللغة العربية ، والفرق بينهما أن اللغة تقع على كل مفرد ، والعربيـة تقـع على كل مفـرد ومركب »(٢٤) .

فأنت ترى النكتة البلاغية التى أشار اليها لتعضـد اختيـاره لأسلوب « الله أحمد » دون « أحمد الله » فتقديم المفعول على الفعل فى الأسلوب الأول أفاد التأكيد والتخصيص .

وكذلك ترى الفرق الدقيق الذى وضع أيدينا عليه بين مصطلحى « اللغة » و « العربية » ، فهو يقصد بالأول متن اللغة ، أى مفرداتها التى جمعها العلماء ، وألفوا فيها معاجمهم اللغوية ، بينما يقصد بالثانى العربية بمفرداتها وتراكيبها ، نحوها وصرفها ، أساليبها واستعمالاتها .

٢ ـ قال فى المفصل عند حديثه عن خصائص الاسم «...ودخول حرف التعريف ، والجر ، والتنوين والاضافة » (٢٥) .

وعلق فى الحواشى بقوله : « قوله : « ودخول حرف التعريف » احتراز من لغة طائية ، لأن لغتهم الميم للتعريف ، ويقولون : ليس من امبر أمصيام فى امسفر .

---

(٢٣) المفصـــل ص ٢ .
(٢٤) الحواشى رقم أو .
(٢٥) المفصـــل ص ٦ .

قوله : « والجر » جعل حرف الجر خصيصة ، لأن الجر يكون في غير الاسم ، كقولك : يوم يقعد زيد .

وقوله : « والاضافة » أراد بالاضافة كونه مضافا لا مضافا اليه، لأن غير الاسم يكون مضافا اليه » (٢٦) .

٣ ــ قال في المفصل عند حديثه عن المصادر التي جاءت على صورة المثنى : « ومنه ما جاء مثنى ، وهو : حنانيك ، ولبيك ، وسعديك ، ودواليك ، وهذا ذيك ... » (٢٧) .

وعلق في الحواشي بقوله : « ... وقد تجيء التثنية ويراد بها التكرار ، كما في قوله تعالى : « ثم ارجع البصر كرتين » (٢٨) .

أي : كرر النظر ، وليس المراد النظر مرتين ، لأن ذلك يفسد المعنى .

---

(٢٦) الحواشي الورقة ٢ ظ ، وينظر الايضاح شرح المفصل لابن الحاجب ٦٧/١ ، ٦٨ تحقيق د/ موسى العليلي ــ مطبعة العاني ــ بغداد سنة ١٩٨٢م .

وقد اعترض ابن هشام في أوضح المسالك على جعل حرف الجر خصيصة من خصائص الأسماء حيث يقول : « احداها : الجر ، وليس المراد به حرف الجر ، لأنه قد يدخل في اللفظ على ما ليس باسم نحو : عجبت من أن قمت ، بل المراد به الكسرة التي يحدثها عامل الجر ، سواء كان العامل حرفا ، أم اضافة ، أم تبعية ، وقد اجتمعت في البسملة » . أوضح المسالك ١٣/١ ، ١٤ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد طبعة دار الجيل ــ بيروت سنة ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م ط ٥ .

(٢٧) المفصل ص ٣٣ .

(٢٨) سورة الملك من الآية ٤ .

ولبيك : أى البابا بعد الباب ، وهو اللزوم ، أى الزم طاعتك ، وهذا ذيك : أى سرعة بعد سرعة أو قطعا بعد قطع ، قال :

ـ ضربا هذا ذيك وطعنا وخضا ـ (٢٩) .

والوخض والوخط : غير الجائف (٣٠) ، وقال :

ـ هذا ذيك حتى ينفد الدن أجمعا ـ .

أى : أسرع فى شربك ، وأكثر منه ، ودواليك : أى دال لك الأمر دوالا بعد دوال » (٣١) .

٤ ـ قال فى المفصل : « وقد يجىء الفاعل ورافعه مضمر ، يقال : من فعل ، فتقول : زيد ، باضمار فعل ، ومنه ... والمرفوع فى قولهم : هل زيد خرج فاعل مضمر يفسره الظاهر » (٣٢) .

وعلق فى الحواشى موضحا هذا القول فقال : « قوله : وقد يجىء الفاعل ورافعه مضمر ، قال : ان « هل » لا يبتدأ بعدها الكلام ، وانها يليها الفعل لا محالة ، وقوله تعالى : « فهل أنتم منتهون » (٣٣) على

---

(٢٩) البيت للعجاج من قصيدة من الرجز يمدح بها الحجاج بن يوسف الثقفى . ينظر الكتاب ١/١٧٥ ، والخزانة ١/٢٧٤ ، والأشمونى ٢/٢٥٢ ، وأوضح المسالك ٣/١١٧ ، وعدة السالك هامش أوضح المسالك ٣/١١٧ .

(٣٠) فى الصحاح (وخض) « الوخض : طعن غير جائف » وفى مادة « وخط » الوخط « الطعن النافذ ، والوخط : لغة فى الوخد ، وهو سرعة السير » .

(٣١) الحواشى الورقة ١٦ ظ .

(٣٢) المفصل ص ٢١ ، ٢٢ .

(٣٣) سورة المائدة الآية : ٩١ .

تقدير : هل تنتهون أنتم منتهون ، فمنتهون ها هنا بمعنى « تنتهون »، وذلك يدل على المضمر الرافع لأنتم » (٣٤) .

ما ذكره الزمخشري في الحواشي ، ونسبه لسيبويه في المفصل ص ٣١٩ لم يقل به أحد من النحاة ، حيث زعم أنها أبدا بمعنى « قد » فهي مختصة بالفعل ، والاستفهام مستفاد من همزة مقدرة ، وعبارة سيبويه لا تعطي هذا المفهوم الذي فهمه الزمخشري ، بل يفهم منها أن « هل » تأتي بمعنى « قد » ، وحينئذ يأتي بعدها الفعل ، والاستفهام مستفاد ومن همزة مقدرة ، و « هل » لا تقع الا في الاستفهام فاذا تمخضت للاستفهام جاز أن يليها الاسم أو الفعل كما أجمع عليه النحاة .

قال سيبويه عند حديثه عن الاستغناء عن ألف الاستفهام : « ... وكذلك « هل » انما تكون بمنزلة « قد » ولكنهم تركوا الألف اذ كانت « هل » لا تقع الا في الاستفهام » (٣٥) .

---

(٣٤) الحواشي الورقة ١١ ظ .

(٣٥) ينظر الكتاب ٣/١٨٩ ، ١٩٠ (هارون) .

والجنى الداني للمرادي ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ص ٣٤١ : ٣٤٦ ـ طبعة دار الآفاق ـ بيروت ط ٢/١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م وفي ص ٣٤٧ علق المرادي على قوله تعالى ـ : «فهل أنتم منتهون» بقوله « فهذا صورته صورة الاستفهام ، ومعناه الأمر ، أي : انتهوا » ، وينظر : رصف المباني للمالقي ص ٤٦٩ : ٤٧١ ـ تحقيق د/ أحمد الخراط ـ دار القلم دمشق ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ومغني اللبيب ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢ ، تحقيق مازن المبارك ، محمد علي حمد الله ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ط ٥ سنة ١٩٨٥م ، والايضاح شرح المفصل لابن الحاجب ٢/٢٤٠ .

٥ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن الاسم المنسوب : « هو الاسم الملحق بآخره ياء مشددة مكسور ما قبلها ، علامة للنسبة اليه، كما ألحقت التاء علامة للتأنيث ، وذلك نحو قولك : هاشمى وبصرى .. » (٣٦) .

وعلق فى الحواشى على هذا التعريف بقوله : « قال : انما شددت ياء النسبة لئلا تلتبس بياء الاضافة ، قوله : « لانتقاله من معنى الى معنى ، ومن حال الى حال » قال : أى انتقل من حال الاسمية الى حال الوصفية ومن المعين الى واحد من القبيلة ، ولذا يعمل عمل الوصف، تقول : مررت برجل هاشمى أبوه كما تقول : ضارب أبوه .. » (٣٧).

ونلاحظ فى النص السابق الذى ذكره الزمخشرى فى الحواشى ، وجود اختلاف فى نص المفصل بين النسخة المطبوعة وما ذكر فى الحواشى من المفصل نفسه ، فعبارة « لانتقاله من معنى الى معنى ، ومن حال الى حال » ، ليست موجودة فى الأصل المطبوع .

ثالثا : تفصيل ما فى المسألة من اجمال ، وذكر آراء النحاة فيها ان كان فى المسألة خلاف .

واليك بعض الأمثلة :

١ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن خصائص النداء : « ومن خصائص النداء الترخيم الا اذا اضطر الشاعر فرخم فى غير النداء ... » (٣٨) .

وعلق فى الحواشى مفصلا آراء النحاة فى جواز الترخيم فى غير

---

(٣٦) المفصل ص ٢٠٦ .
(٣٧) الحواشى الورقة ٤٥ و ، ظ .
(٣٨) المفصل ص ٤٧ .

النداء اذا اضطر الشاعر لذلك فقال : « قوله : « الا اذا اضطر الشاعر فرخم » قال : هذا مذهب سيبويه ، وعند المبرد لا يجوز الترخيم فى غير النداء لضرورة الشعر » (٣٩) .

٢ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن المنصوب بفعل مضمر من المصادر : «..ومنه : مررت به فاذا له صوت صوت حمار...»(٤٠) .

وعلق فى الحواشى موضحا وجه النصب فى « صوت حمار » ، وذكر آراء النحاة فى ذلك فقال : « قال سيبويه : انما انتصب هذا يعنى قوله : « مررت به فاذا له صوت صوت حمار » ، لأنك مررت به فى حال تصويت ولم ترد : ان تجعل الأخير صفة للأول ، ولا بدلا منه، ولكنك لما قلت : له صوت علم ... ، وقوله : « صوت حمار » أى يصوت صوت حمار ، وهذا مذهب سيبويه .

وغيره يجوز نصبه بالمصدر » (٤١) .

٣ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن اضمار العامل فى خبر «كان»: « ومنه : أما أنت منطلقا انطلقت ، والمعنى : لأن كنت منطلقا ، و « ما » مزيدة معوضة من الفعل المضمر » (٤٢) .

وعلق فى الحواشى مفصلا المسألة فقال : « قوله : « ومنه أما

---

(٣٩) الحواشى الورقة ٢٠ و ، وينظر الكتاب ١/٣٤٢ (بولاق) ، والمقتضب ٤/٢٥٢ ، والايضاح شرح المفصل لابن الحاجب ١/٢٩٥، ٢٩٦، والانصاف ١/٣٥٣ ، وشرح الأشمونى ٣/١٨٤ .

(٤٠) المفصل ص ٣٢ .

(٤١) الحواشى الورقة ١٥ ظ،وينظر الكتاب ١/١٧٨ ، ١٨٢ (بولاق) والايضاح شرح المفصل لابن الحاجب ١/٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٤٢) المفصل ص ٧٣ .

أنت منطلقا ، قالوا : أصل الكلام : لأن كنت منطلقا انطلقت ، ثم حذف الجار ، لأنه يحذف كثيرا ، ثم انه حذفه « كان » وعوضه « أنت » ، بدل من الضمير المتصل مكان الضمير في قولك : لأن كنت منطلقا ، انقلب عن الاتصال الى الانفصال لانفراده عن الفعل » (٤٣) .

وقال أيضا : « قوله : « أما أنت منطلقا انطلقت » انما هي «أن» ضمت اليها « ما » ، وهي « ما » التوكيد ولزمت كراهية أن يجحفوها ، لتكون عوضا من ذهاب الفعل ، كالألف ، والهاء في اليماني ، والزنادقة ، ومثل ذلك من لزوم « ما » قولهم : اما لا ، فألزموها « ما » عوضا ، ثم قال : فلما كان قبيحا عندهم أن يذكر الاسم بعد « اما » ويبتدئون بعد « اما » لقبح كي عبد الله يقول ، حملوه على الفعل حتى صار كأنهم قالوا : اذا صرت منطلقا فأنا انطلق .. » (٤٤) .

٤ ــ قال في المفصل عند حديثه عن اضمار العامل في خبر «كان» أيضا : ومنه : ألا طعام ولو تمرا وائتني بدابة ولو حمارا ، وان شئت رفعت بمعنى ولو يكون تمر وحمار » (٤٥) .

وعلق في الحواشي على هذه المسألة بقوله : « قوله : « وائتني بدابة » ، قال سيبويه : ولو قلت ولو حمار ، فجررت كان منزلة قولك: برجل ان زيد وان عمرو ، يريد ان كنت مررت بزيد ، وان كنت مررت بعمرو » (٤٦) .

---

(٤٣) الحواشي الورقة ٢٦ و ، ظ .

(٤٤) الحواشي الورقة ٢٦ ظ ، وينظر الايضاح لابن الحاجب ١/٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٤٥) المفصل ص ٧٣ .

(٤٦) الحواشي الورقة ٢٦ ظ ، وينظر الكتاب ١/٢٦٩ (هارون) .

٥ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن « لات » المشبهة بليس : و« لا » التى يكسرونها بالتاء هى المشبهة بليس بعينها ، ولكنهم أبوا الا أن يكون المنصوب بها حينا ، قال الله تعالى : « ولات حين مناص » (٤٧) أى ليس الحين حين مناص » (٤٨) .

وعلق فى حواشيه على هذه المسألة فقال بعد أن فسر معنى « يكسرونها » : « قال : قال أبو الحسن على بن عيسى بن على النحوى : « لات » لا تعمل الا فى الحين خاصة ، نصبت أو رفعت ، كقوله تعالى « ولات حين مناص » ، وقد رفعها بعضهم .

والعلة فى ذلك أنها فى المرتبة الثالثة من ضعف العامل ، وذلك « ليس » أقوى ، ثم « ما » للنفى لما فى الحال ، ثم « لات » ، لأنها توافقها فى النفى ، وتخالفها فى الاستقبال ، ولا يجوز أن يظهر مرفوعها لضعفها فى العمل ، كما لا يجوز أن يظهر مرفوع « ليس لضعفها فى الاستثناء » (٤٩) .

---

(٤٧) سورة ص من الآية ٣ .

(٤٨) المفصل ص ٨٢ .

(٤٩) الحواشى الورقة ٢٧ ظ ، ٢٨ و ، وفى الايضاح شرح المفصل لابن الحاجب ١/٣٩٩ : « اختلف الناس فى (لا) التى تلحق آخرها التاء ، فمنهم من قال : انها بمعنى (ليس) ، وهو مذهب البصريين ، ومنهم من قال : انها لنفى الجنس ، وهو مذهب الكوفيين ، ومنهم من قال : هذه التاء من (حين) ويجعل (تحين) لغتين ، فعلى هذا تكون التاء فيه ، للجنس ، « وهو مذهب أبى عبيدة » .

وذكر ابن الحاجب حجة كل فريق . ينظر ١/٣٩٩ ، ٤٠٠ ، وينظر الكتاب ١/٢٨ (بولاق) والمغنى ١/٢٥٤ ، وأوضح المسالك ١/٢٨٧ ــ ٢٨٩ .

رابعا : عنايته بالشاهد النحوى شرحا وتحليلا :

(أ) الشاهد القرآنى :

بلغت الشواهد القرآنية فى المفصل نفسه قرابة احدى وستين ومائتى آية ، وليس هذا بالقليل اذا علمنا حجم المفصل .

والزمخشرى عند تعرضه للنص القرآنى فى مؤلفاته بصفة عامة والكشاف بصفة خاصة اعتمد على الذوق الأدبى ، والأسلوب البلاغى ، ولهذا كان يعنى بالمعنى لا بصناعة الاعراب ، وقد استطاع ببصيرته النيرة التى لا يملكها غير الفذاذ من الموهوبين أن يتناول النص القرآنى الشريف من شتى نواحيه ، فيقف عند الحرف من الكلمة ، والكلمة من الآية ، والآية من السورة وقوف من ملك موازين البيان ، فجعل لكل حرف وزنه وتقديره واستشف لكل كلمة ايحاءها وظلالها .

ويظهر هذا بوضوح فى تعليقاته على الشاهد القرآنى فى حواشيه على المفصل ، فقد تعرض كثيرا للاعراب ، فأعرب كلمات ، وأورد آراء النحاة فى اعراب كلمات أخرى ، وناقش الأعاريب ، واختار منها ما رآه أصح وأصوب ، ولم يكتف بالاعراب بل كان يتعرض لمعنى الآية مفسرا معانى الكلمات فيها وموضحا ما تحتمله من معان .

واليك بعض الأمثلة :

١ ــ ذكر فى المفصل أن المبتدأ اذا تضمن معنى الشرط جاز دخول الفاء على خبره ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : « الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » (٥٠) ، وقوله تعالى : « وما بكم من نعمة فمن الله »(٥١) .

---

(٥٠) سورة البقرة من الآية ٢٧٤ .

(٥١) سورة النحل الآية ٥٣ . وينظر المفصل ص ٢٧ .

وعلق فى حواشيه على الآيتين فقال : « قوله : « وما بكم من نعمة فمن الله » ما : الاسم الموصول الذى تضمن معنى الشرط والجزاء، و « بكم » صلته ، و « فمن الله » خبره ، و « ما » هو المبتدأ، و « فمن الله » جار ومجرور ، والمجرورات مع جارها تقع ظرفها عند النحويين ، وهى تقع أخبار .

ومعناه : الذى حصل بكم من النعم فلا يتصور أن يكون من غير الله ، فينبغى أن تكونوا معتقدين أن كل نعمة حاصلة بكم فهى من الله.

وكذلك قوله تعالى : « فلهم أجرهم » ، أى استحق لهم الأجر بسبب الانفاق ، ولو لم تكن فيه الفاء لما استحق لهم شىء .. » (٥٢).

٢ ــ استدل فى المفصل عند حديثه عن النصب على المدح أو الشتم أو الترحم بنصوص كثيرة منها قوله تعالى : « حمالة الحطب » (٥٣) بنصب « حمالة » فى قراءة (٥٤) .

وعلق فى الحواشى على الآية الكريمة بقوله : « قال فى قوله تعالى: « حمالة الحطب » قولان :

أحدهما : أنها كانت تحمل من الحطب ما يؤذى فتطرحه فى طريق المسلمين .

---

(٥٢) الحواشى الورقة ١٣ و ، وينظر الايضاح شرح المفصل لابن الحاجب ٢٠٤/١ .

(٥٣) سورة المسد من الآية ٤ .

(٥٤) قرأ عاصم بنصب « حمالة » والباقون برفعها . ينظر : كتاب التيسير فى القراءات السبع لأبى عمرو الدانى ص ٢٢٥ ــ نشر دار الكتاب العربى ــ بيروت ط ٣ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

والثانى : أنها كانت تتم ، لأنه يقال : جاء فلان بالحظيرة الرطب اذا وشى وتم ، مأخوذ من حظيرة الغنم » (٥٥) .

٣ ــ استدل الزمخشرى فى المفصل عند حديثه عن اعمال الثانى من العاملين المتنازعين ، لأنه الأقرب بقوله تعالى : « آتونى أفرغ عليه قطرا » (٥٦) .

وعلق فى الحواشى على هذه الآية فقال : « قال . ولو ذكر «القطر» بعد « آتونى » أو نواه لقال : أفرغه عليه ، قال : ويقول أيضا : اذا كان غدا فائتنى ، واذا كان يوم الجمعة فالقنى ، النصب لغة بنى تميم ، والرفع لغة غيرهم » (٥٧) .

٤ ــ قال فى المفصل : « ويجوز فى قوله عز وجل : « ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق » (٥٨) أن يكون « تكتموا » منصوبا ومجزوما .. » (٥٩) .

وعلق فى الحواشى على الآية الكريمة بقوله : « قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحق بالباطل » قال هذا خطاب لقوم يجمعون بين اللبس والكتمان فنهاهم الله عن ذلك ، وليس لقائل أن يقول : اذا لم يجز الجمع جاز الافراد لأنا علمنا أنه لا يجوز الافراد أيضا بالدليل ، وهو أنه تعالى لا يفعل القبيح ولا يأمر به » (٦٠) .

---

(٥٥) الحواشى الورقة ١٩ ظ .

(٥٦) سورة الكهف من الآية ٩٦ . وينظر المفصل ص ٢٠ .

(٥٧) الحواشى الورقة ١١ و .

(٥٨) سورة البقرة من الآية ٤٢ .

(٥٩) المفصل ص ٢٤٨ .

(٦٠) الحواشى الورقة ٥١ و ، ظ ، وينظر الكشاف ١/٥٣ ، والايضاح لابن الحاجب ٢/٢٥ .

٥ ــ قال فى المفصل : « وسأل سيبويه الخليل عن قوله تعالى : « رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (٦١) فقال هذا كقول عمرو بن معديكرب .. »(٦٢) .

وعلق فى الحواشى على الآية الكريمة بقوله : « قال : « لولا أخرتنى » للتحضيض كأنه قيل : أخرنى فأصدق » (٦٣) .

٦ ــ قال الزمخشرى فى المفصل عند حديثه عن معنى « الى » الجارة : « والى معارضة لمن دالة على انتهاء الغاية ، كقولك : سرت من البصرة الى بغداد ، ولكونها بمعنى المصاحبة فى نحو قوله عز وجل « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » (٦٤) راجع الى معنى الانتهاء » (٦٥) .

وعلق فى الحواشى على الآية الكريمة بقوله : « قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » قال : ضمن قوله « ولا تأكلوا » معنى متعد بالى وهو ولا تضموا .. على سبيل الأكل » (٦٦) .

٧ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن الباء الزائدة فى المنصوب : « وتكون مزيدة فى المنصوب كقوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم الى

---

(٦١) سورة المنافقون من الآية ١٠ .
(٦٢) المفصل ص ٢٥٥ .
(٦٣) الحواشى الورقة ٥٢ و ، وينظر الكتاب ١/٤٥٢ ، والايضاح لابن الحاجب ٢/٤٣ ، ٤٤ .
(٦٤) سورة النساء من الآية ٢ .
(٦٥) المفصل ص ٢٨٣ .
(٦٦) الحواشى الورقة ٥٤ و .

التهلكة » (٦٧) وقوله : « بأيكم المفتون (٦٨) .. » (٦٩) .

وعلق الزمخشرى فى الحواشى على الآية موضحا رأيه الذى انفرد به ، وهو جعل الباء زائدة فى المنصوب « بأيكم » فقال : « وقوله عز اسمه : « بأيكم المفتون » قال : أصله : فستبصر ويبصرون أيكم هذا المفتون ، بنصب « أى » على أنها هى الموصولة ، كأنه قيل : فستبصر ويبصرون الذى هو المفتون منكم ، ثم حذف الشطر الأول الذى هو من أصلها ، فصار : أيكم المفتون ، كقوله تعالى : « أيهم أشد على الرحمن عتيا » (٧٠) فى قراءة من قرأها بالنصب (٧١) ، ثم أدخلت الباء مزيدة ، فقيل : بأيكم المفتون ودخولها على منصوب كما ترى .

ولا تقل ان أصله : ويبصرون أيكم المفتون ، على أن « أيا » مبتدأ ، والمفتون خبره ، وأن « أيا » هى المتضمنة لمعنى الاستفهام التى من شأنها التعليق ، فان « أبصر » ليس من الأفعال التى تعلق .. وزعم الكوفيون أن « المفتون » مصدر ، والباء معلقة به ، كأنه قال : بأيكم للفتنة »(٧٢) .

---

(٦٧) سورة البقرة من الآية ١٩٥ .

(٦٨) سورة القلم الآية ٦ .

(٦٩) المفصل ص ٢٨٥ .

(٧٠) الآية « ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا » مريم الآية ٦٩ .

(٧١) قراءة النصب شاذة ، والعامل فى (أى) على هذه القراءة (لننزعن) ، وهى بمعنى (الذى) . ينظر : املاء ما من به الرحمن للعكبرى ٢/١١٥ ـ ١١٦ .

(٧٢) الحواشى الورقة ٥٤ و ، ظ ، وينظر تفصيل القول فى هذه الآية فى : معانى القرآن للفراء ٢/١٧٣ ، والبحر المحيط ٨/٣٠٦ ، والبيان فى غريب اعراب القرآن ٢/٤٥٣ ، واللسان (فتن) ، والايضاح لابن الحاجب ٢/١٧٤ ، ١٧٥ .

٨ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن معانى « عن » : « .. وجلس عن يمينه أى : متراخيا عن بدنه فى المكان الذى بحيال يمينه . وقال الله تعالى : فليحذر الذين يخالفون عن أمره »(٧٣) .. »(٧٤) .

وعلق فى الحواشى على الآية الكريمة بقوله : « قوله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى : يتباعدون عن أمره على سبيل المخالفة ، أو يفعلون المخالفة مجاوزين عن أمره ، فيكون فى الوجه الأول صلة ، وفى الثانى حالا »(٧٥) .

٩ ــ قال الزمخشرى فى المفصل عند حديثه عن « حاشا » : « وحكى أبو عمرو الشيبانى عن بعض العرب : اللهم اغفر لى ولمن سمع حاشا الشيطان وابن الأصبغ بالنصب ، وقوله تعالى : « حاش لله »(٧٦) بمعنى براءة الله من السوء »(٧٧) .

وعلق الزمخشرى فى الحواشى على الآية الكريمة بقوله : « قال: « حاشا » عند المبرد فى الاستثناء فعل ، وعند سيبويه حرف ، ويجوز المبرد الحرفية ، فاذا جعلها حرفا جر بها ، واذا جعلها فعلا نصب بها، قال عن أبى على الفارسى فى قوله تعالى : « حاش لله » جانب يوسف الفاحشة لأجل الله .. » (٧٨) .

---

(٧٣) سورة النور من الآية ٦٣ .
(٧٤) المفصل ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .
(٧٥) الحواشى الورقة ٥٤ ظ .
(٧٦) سورة يوسف من الآية ٣١ .
(٧٧) المفصل ص ٢٩٠ .
(٧٨) الحواشى الورقة ٥٤ ظ ، وينظر الايضاح لابن الحاجب ١٥٩/٢ .

١٠ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن « ان » المكسورة الهمزة للابتداء : « ولكون المكسورة للابتداء لم تجامع لاما الا اياها ، وقوله:

ــ ولكننى من حبها لعميد ــ (٧٩) .

على أن الأصل : ولكن اننى ، كما أن الأصل فى قوله تعالى : « لكنا هو الله ربى » (٨٠) لكن أنا » (٨١) .

وعلق فى الحواشى على الآية الكريمة بقوله : « قوله تعالى : « لكنا هو الله ربى » قال : اى لكن أنا ، فحذفت الهمزة ، وألقيت حركتها على النون ، فصار « لكننا » ، ثم سكنت النون الأولى وأدغمت فى الثانية ، فصار « لكنا » ، قال : لما كان الضمير فى « ربى » راجعا الى « أنا » الذى هو مبتدأ جاز هذا التقدير ، تقول : أنا هو صاحبى، ولا تقول : أنا هو الصاحب » (٨٢) .

(ب) الحديث الشريف :

الاستشهاد بالحديث الشريف فى كتاب المفصل نفسه كان قليلا اذا قيس بالشواهد الأخرى ، وذلك جريا على طريقة المتقدمين من النحاة الذين لم يكثروا من الاستشهاد بالحديث على القواعد النحوية والصرفية .

---

(٧٩) ذكر النعسانى فى المفضل شرح أبيات المفصل : أنه لم ير سابقا ولا لاحقا لهذا البيت ، ولم يعرف قائله . ينظر المفصل هامش المفصل ص ٢٩٤ .

(٨٠) سورة الكهف من الآية ٣٨ ، « لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا » .

(٨١) المفصل ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٨٢) الحواشى الورقة ٥٥ و ، وينظر الايضاح شرح المفصل لابن الحاجب ٢/١٧٥ .

والزمخشرى فى حواشيه على المفصل قد استشهد ببعض الأحاديث: ونص على اسنادها الى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك فى مقام التنظير لما جاء به من أمثلة وشواهد شعرية لتثبيت أركان القاعدة النحوية أو الصرفية واليك بعض الأمثلة :

١ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن اعمال العامل الأول من العاملين المتنازعين ، والاضمار فى الثانى : « ... وقد يعمل الأول ، وهو قليل ، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة(٨٣) :

تنخل فاستاكت به عود اسحل(٨٤)

وعليه الكوفيون ، وتقول على المذهبين : قاما وقعد أخواك ، وقام وقعدا أخواك ... »(٨٥) .

وعلق فى الحواشى فقال : « ونظير ما لم يوجه فيه الفعل الثانى الى ما وجه اليه الأول ، ما روى أبو أمامة الباهلى عن النبى

---

(٨٣) نسب الزمخشرى البيت الى عمر بن أبى ربيعة كما ترى ، ونسبه الجرمى الى المقنع الكندى ، والصواب ما قاله الأصمعى من أنه لطفيل الغنوى من قصيدة طويلة شبب فيها بامرأة تسمى سعدى منها :

ديار لسعدى اذ سعاد جداية من الأدم خمصان الحشى غير خنثل

ينظر المفصل شرح أبيات المفصل ص ٢٠ هامش المفصل ــ طبعة دار الجيل ــ بيروت ط ٢ .

(٨٤) هذا عجز لبيت ، وصدره : اذا هى لم تستك يعود أراكه ..

ينظر المفصل شرح أبيات المفصل ص ٢٠ هامش المفصل ــ طبعة دار الجيل ــ بيروت ط ٢ .

(٨٥) المفصل ص ٢٠ .

ـ ﷺ ـ « من سقى صبيا لا يعقل خمرا سقاه الله كما سقاه حميم جهنم »(٨٦) .

ينصب « حميم جهنم » بالفعل الأول ، ولو نصبه بالثانى فسد المعنى(٨٧) .

٢ ـ قال فى الحواشى مفسرا معنى « فديد » من قول الشاعر :

نبئت أخـوالى بنى يزيد ظلما علينـا لهم فديد

« ... والفديد : الصياح،قال رسول الله ـ ﷺ ـ « ان الجفاء والقسوة فى الفدادين »(٨٨) يعنى : الحراثين »(٨٩) .

---

(٨٦) لم أجد هذا الحديث بلفظه فى كتب الصحاح ، ولا فى كتب غريب الحديث ، والذى فى سنن أبى داود ٣٢٧/٣ « عن ابن عباس عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « كل مخمر خمر ، وكل مسكر حرام ، ومن شرب مسكرا نجست صلاته أربعين صباحا ، فان تاب تاب الله عليه ، فان عاد الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال ، قيل : وما طينة الخبال يا رسول الله ؟ قال : صديد أهل النار، ومن سقاه صغيرا لا يعرف حلاله من حرامه كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال » حديث ٣٦٨ . ورواه البيهقى فى سننه ٢٨٨/٨ ـ دار الفكر ـ وصححه الألبانى كما فى صحيح الجامع الصغير ٧٨/٤ ، ١٧٩ حديث رقم ٤٤٢٤ .

(٨٧) الحواشي الورقة ١١ و .

(٨٨) من حديث طويل فى صحيح البخارى ١٢٨٩/٣ (كتاب المناقب) وفتح البارى ٩٨/٨ (كتاب المغازى) ، وصحيح مسلم ٧٣/١ (كتاب الايمان) ومسند احمد ٢٥٨/٢ ، ٣٣٢/٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ، ٤٣٩ .

(٨٩) الحواشى الورقة ٣ و ، وينظر المفصل ص ٦ ، وفى الصحاح مادة (فدد) : « ورجل فداد » : شديد الصوت . وفى الحديث : «أن الجفاء والقسوة فى الفدادين» بالتشديد ، وهم الذين تعلوا أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم » .

٣ ــ ذكر فى المفصل عند حديثه عن ابدال الميم من اللام فى لغة طىء الحديث الشريف : « ليس من امبر امصيام فى امسفر »(٩٠) .

وعلق عليه فى الحواشى بقوله : « ... هذا حديث مروى عن رسول الله ــ ﷺ ــ ورواه النمر بن تولب ولم يرو عن رسول الله الا هذا الحديث »(٩١) .

والزمخشرى فى الحواشى ذكر الحديث والتعليق عليه مقحما فى غير موضعه فى المفصل ، حيث ذكره فى أثناء حديثه عن حروف الشرط والجزاء ، بينما هو فى المفصل فى « ومن أصناف المشترك ابدال الحروف » .

وعلق الزمخشرى فى المفصل على هذا الحديث بمثل تعليقه عليه فى الحواشى(٩٢) .

وقد ذكر الزمخشرى هذا الحديث فى الحواشى أيضا من غير أن يشير الى أنه حديث ، وذلك عند تعليقه على خصائص الاسم فقال : « ... قوله : « ودخول حرف التعريف » احترازا من لغة طائية ، لأن لغتهم الميم للتعريف،ويقولون:ليس من امبر امصيام فى امسفر»(٩٣).

---

(٩٠) المفصل ص ٣٦٦ ، والحديث فى مسند الامام احمد « باب الصوم فى السفر » من مسند كعب بن عاصم و « بال » فى البخارى ٣٠/٣ ، ومسلم ١٤٢/٣ ، وأبو داود ٥٦١/١ عن جابر ، وابن ماجه ٥٣٢/١ عن ابن عمر ، وأحمد ٤٣٤/٥ .

(٩١) الحواشى الورقة ٦٠ و .

(٩٢) ينظر المفصل ص ٣٦٦ .

(٩٣) الحواشى الورقة ٢ ظ .

(ج) أمثال العرب وأقوالهم :

تطرق الزمخشرى فى حواشيه على المفصل لأمثال العرب وأقوالهم التى استدل بها على القواعد النحوية والصرفية بالشرح والتوضيح ، فضلا عن اعرابها اعرابا تفصيلا فى معظم الأحيان .

واليك بعض الأمثلة :

« شر أهر ذا ناب »(٩٤) .

ذكر الزمخشرى هذا المثل فى المفصل ، عند حديثه عن مسوغات الابتداء بالنكرة ، وعلق عليه فى الحواشى بقوله (شر) مبتدأ فى الظاهر وفاعل فى المعنى ، لأن التقدير : ما أهر ذا ناب الا شر ، وهو على التقدير فاعل كما ترى ، ولأنه فاعل فى المعنى صح تفكيره من حيث أن الفاعل كما ترى ، ولأنه فاعل فى المعنى صح تنكيره من حيث ان الفاعل يقع منكرا كما يقع معرفا لا حظر فى ذلك ، قال : لابد من معنى الاختصاص فى المبتدأ ، والاسم يختص بالنفى ، والمستفهم عنه كالمنفى فى أنه غير موجب ، والذى خبره الظرف مختص لتعلقه بمكان مختص ، و « شر » فى المثل فى حكم المنفى ، لأن المعنى : ما أهر ذا ناب الا شر ، ولأن له صفة محذوفة أى : شر متفاقم »(٩٥) .

---

(٩٤) أصل المثل : أن العرب سمعت هرير الكلب فى وقت لا يهر فى مثله الا لسوء ، فقالوا ذلك فيه . ينظر فرائد اللآل فى مجمع الامثال ٣٠٦/١ ، للشيخ ابراهيم الأحدب ـ بيروت سنة ١٣١٢هـ ، والكتاب ١٦٦/١ ، وشرح الكافية لابن الحاجب ص ٢٤ ـ مطبعة دار الطباعة العامرة ـ الأستانة سنة ١٣١١هـ ، والايضاح لابن الحاجب ١٨٥/١ ، ١٠٩/٢ ، والمفصل ص ٢٤ .

(٩٥) الحواشى الورقة ١١ ظ .

٢ ــ « ضربى زيدا قــائما » « أكثر شربى الســويق ملتوتا » « أخطب ما يكون الأمير قائما »(٩٦) .

ذكر الزمخشرى فى المفصل هذه الأقوال شاهدا على حذف الخبر لسد غيره مسده ، وعلق عليها فى الحواشى شارحا ومفصلا حيث يقول:

« ... التقدير : ضربى اذا كان قائما ، وكان تامة ، وقائما نصب على الحال ، وذو الحال الضمير المستكن فى « كان » وكذلك التقدير فى « أكثر شربى السويق ملتوتا » ويجوز أن يكون حالا من الضارب على تقدير : اذا كنت قائما ، وعند ابن درستويه : ضربى ضربت،وهو حال من الفاعل،أى «الياء» ومن المفعول أيضا »(٩٧) . ثم قال معلقا على قولهم : أخطب ما يكون الأمير قائما « ... التقدير : أخطب أوقــات الأمير وقت كونه قائما،وهو من باب اسناد الفعل الى الأوقات كقولهم: نهاره يعتم ، والكون هنا بمعنى الوجود ، وقائما نصب على الحــال ، وذو الحال الضمير فى « كونه » ويحتمل أن يكون « أخطب » مضــافا الى « ما يكون » الذى بمعنى الكون بغير تقدير الأوقات ، فيكون اذا فى هذا التقدير منصوب المحل على الظرفية »(٩٨) .

٣ ــ « هذا بسرا أطيب منه رطبا » :

ذكر الزمخشرى هذا القول فى المفصل فى باب الحال حيث قال :

---

(٩٦) ينظر المفصــل ص ٢٩ .

(٩٧) الحــواشى الورقة ١٢ ظ .

(٩٨) الحواشى الورقة ١٢ ظ ، وينظر الايضاح شرح المفصــل ١٩٦/١ : ١٩٨ ، وشرح الكافية لابن الحاجب ص ٢٥ ، وهمع الهــوامع ١٠٦/١ .

« والاسم غير الصفة ، والمصدر بمنزلتهما فى هذا الباب ، تقول:هذا بسرا أطيب منه رطبا »(٩٩) .

وعلق فى الحواشى على هذا القول موضحا معناه ، ومعربا بعض كلماته حيث قال : « قوله : هذا بسرا أى : هذا التمر فى حال البسر يكون أطيب منه فى حال الرطب ، ثم العامل فى ذى الحال والحال معنى التنبيه والاشارة . وذو الحال المشار اليه ، وهو صفة « ذا » ، أعنى : التمر ، ولا يجوز أن يكون « ذا » لأنك تقول : ذا التمر بسرا ، كما تقول : هذا التمر بسرا ، ومعناه : أنبه وأشير »(١٠٠) .

٤ ــ « كلمته فاه الى فى » « بايعته يدا بيد » .

ذكر الزمخشرى هذين القولين فى المفصل عند حديثه عن وقوع المصدر حالا كالقول السابق(١٠١) ، وعلق عليه فى الحواشى بقوله : « قوله : كلمته فاه الى فى يقال : وتحقيقه كلمته صاحب فم مضموما الى فى ، فحذف المضاف ، وأقيم « فم » الذى هو مضاف اليه مقامه ، وكذا بعته صاحب يد ملتبسة بيد ... »(١٠٢) .

٥ ــ « ما كل سوداء تمرة ، ولا بيضاء شحمة »(١٠٣) .

---

(٩٩) ينظر المفصل ص ٦٢ ، ٦٣ .

(١٠٠) الحواشى الورقة ٢٤ و ، وينظر الايضاح شرح المفصل ١/٣٣٥ : ٣٣٨ ، والكتاب ١/١٩٩ (بولاق) ، وشرح الكافية لابن الحاجب ص ٤٠ ، ٤١ .

(١٠١) ينظر المفصل ص ٦٣ .

(١٠٢) الحواشى الورقة ٢٤ و ، وينظر الايضاح شرح المفصل ١/٣٣٩ ، ٣٤٠ ، والكتاب ١/١٩٥ ، ١٩٦ (بولاق) .

(١٠٣) مثل يضرب فى موضع التهمة ، وفى اختلاف أخلاق الناس وطباعهم .
ينظر مجمع الأمثال للميدانى ٢/١٥٦ ، والمقتضب ٤/١٩٥ .

ذكر الزمخشري هذا المثل عند حديثه عن حذف المضاف ، وترك المضاف اليه على اعرابه(١٠٤) ، وعلق عليه في الحواشي موضحا عبارة المثل ذاكرا ما حذف منها فقال : « أصل الكلام : ما كل سوداء تمرة ، ولا كل بيضاء شحمة ، فحذف كلا ، وترك بيضاء على اعرابه كما كان وقت الاضافة ، أي : ليس كل أسود بتمر ، ولا كل أبيض بشحم »(١٠٥) .

(د) موقفه من الشاهد الشعري :

والمتأمل في كتاب المفصل نفسه يجد غزارة الشاهد الشعري تأصيلا للقاعدة النحوية والصرفية ، وتثبيتا لأركانها وقد بلغت الشواهد الشعرية في المفصل تسعة وأربعين وأربعمائة شاهد تقريبا ، وكان بعض هذه الشواهد من أبيات الكتاب لسيبويه ، وقد نص الزمخشري على ذلك .

ولم يقتصر الزمخشري في شواهده الشعرية على شعر الجاهليين والمخضرمين ، بل تعداهم الى غيرهم من شعراء العصر الأموي أمثال الفرزدق وجرير والأخطل والكميت ، وان كان لم يستشهد بشعر المولدين أمثال بشار بن برد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والمتنبي .

أما في الحواشي فقد عنى الزمخشري بالشاهد الشعري، وعلق عليه مفسرا معاني الكلمات الغامضة فيه ، ومعربا ما يحتاج الى اعراب وبخاصة موضع الشاهد من البيت ، وربما فصل مسألة نحوية أو صرفية في ثنايا تعليقه على البيت .

---

(١٠٤) ينظر المفصل ص ١٠٦ .

(١٠٥) الحواشي الورقة ٣٠ ظ ، وينظر الكتاب ٣٣/١ (بولاق) سنة ١٣/٦ هـ ، والايضاح شرح المفصل ٤٢٨/١ .

والملاحظ فى الحـواشى أن الزمخشرى لم يعلق على كل أبيـات المفصل ، بل اكتفى ببعضها مما يراه فى حاجة الى تعليق .

واليك بعض الأمثلـة :

١ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن أقسام العلم : « وينقسـم الى مفرد ، ومركب ، ومنقول ، ومرتجل فالمفرد نحو : زيد وعمـرو ، والمركب اما جملة نحو : برق نحره ، وكأبط شرا ، وذرى حبا ، وشاب قرناها ، ويزيد فى مثل قوله(١٠٦) .

نبئت أخـوالى بنى يزيد ظلما علينا لهم فديد(١٠٧)

وعلق الزمخشرى فى الحواشى على البيت مفسرا معانى الكلمات الغامضة ومعربا جل كلمات البيت فقال : « قوله : (نبئت أخـوالى) التاء فى (نبئت) المفعول الأول(١٠٨) ، والثانى : أخوالى،وبنى يزيد: بيان لأخوالى ، والثالث : لهم فديد ، أى : فادين ، والفديد : الصياح، قال رسول الله ــ ﷺ ــ « أن الجفاء والقسوة فى الفدادين » ، يعنى: الحراثين ، والضمير فى (يزيد) مستكن ، وتقديره : بنى يزيد هم ، وهو جملة ، والجملة لا تغير عن حالها وبنائها فى حال الرفع والنصب والجر إذا سمى بها شخص »(١٠٩) .

---

(١٠٦) البيت نسبه العينى لرؤبة ، وليس فى ديوانه ، وبنو يزيد : تجار كانوا بمكة يبيعون البرود ، واليهم تنسب البرود اليزيدية .
ينظر : ابن يعيش ٢٨/١ ، والايضـاح شرح المفصـل ٦٩/١ ، والأشمونى ١٣٢/١ ، والمفصل للنعسانى ص ٦ ، ٧ .

(١٠٧) المفصـل ص ٦ .

(١٠٨) الفعل (نبئت) مبنى للمفعول ، والتاء نائب فاعل ، كانت فى الأصل المفعول الأول .

(١٠٩) الحـواشى الورقة ٣ و .

٢ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن العلم المنقول : « .. ومنقول عن فعل اما ماض كشمر وكسعب ، واما مضارع كتغلب ويشكر ، واما أمر كاصمت فى قول الراعى(١١٠) :

أشلى سلوقية باتت وبات بها بوحش اصمت فى أصلابها أود(١١١)

و « أطرقا » فى بيت الهذلى(١١٢) :

على أطرقا باليات الخيـــا م الا الثمام والا العصى(١١٣،١١٤)

وعلق الزمخشرى فى الحواشى على البيت الأول بقوله :«وقوله : « أشلى سلوقية » البيت ، سلوق باليمن ينسب اليها الكلاب والدروع ، قال :

كل الأنـــاب تلفى بـــكل طـــريق
فان ظفرت بحر فاحفظه فهو سلوقى(١١٥)

---

(١١٠) البيت من قصيدة للراعى النميرى مدح بها عبد الله بن معاوية. ينظر : ديوانه ص ٤٦ .

(١١١) أشلى : يقال : أشلى كلبه بالصـــيد : أغراه به ، وأود : اعـــوجاج .

وينظر البيت فى ابن يعيش ٣٣/١ ، والايضـــاح شرح المفصـــل ٧٥/١ ، ٧٦ ، والخزانة ٢٨٤/٣ (بولاق) سنة ١٢٩٩هـ ، والأشـمونى ١٣٣/١ ، والمفصل ص ٧ ، ٨ .

(١١٢) البيت لأبى ذؤيب الهذلى . ينظر ديوان الهذليين ٦٤/١ .

(١١٣) الثمام : نبات يسد به جوانب الخيمة ، والعصى ، جمـــع عصا ، وهى قوائم الخيمة .

ينظر البيت فى : ابن يعيش ٣١/١ ، والايضـــاح شرح المفصـــل ٧٦/١ ، ٧٧ ، والأشمونى ١٣٢/١ ، والمفصل ص ٨ .

(١١٤) المفصـــل ص ٧ ، ٨ .

(١١٥) الحـــواشى الورقة ٣ ظ .

وعلق على البيت الثانى بقوله : « و (أطرقا) فى بيت الهذلى : موضع ، وأصله : أن ثلاثة نفر قال أحدهم لصاحبيه (أطرقا)،فسمى ذلك المكان : أطرقا •

والخيمة : ما كانت من شجر ، وهى أعواد تنصب ، فيظلل بها •

يجوز فى قافية هذه القصيدة التقييد والاطلاق،فان قيدتكان الوجه نصب (الثمام) ، لأنه مستثنى من موجب ، و (العصى) على هـذا منصوبة الموضع ، فان أطلقت رفع (الثمام) على تأويل قولك : بليت الخيام الا الثمام ، فى معنى لم يبق منها الا الثمام ، فصار (الثمام) مستثنى من غير موجب ، وقوله : (مقيـد) أى : ساكن ، ومرفـوع أيضا ، لأن البلى قيد معنى النفى ، وما يبلى كأنه ينتفى (الا الثمام) بالنصب لا غير ، لأن القصيدة مقيدة ، لأنه يقول :

عرفت الديـار كرقم الدوى يزبره الكاتب الحميرى(١١٦،١١٧)

٣ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن اجراء المعانى مجرى الأعيان فى التسمية بها : « وقد أجروا المعانى فى ذلك مجرى الأعيان،فسموا التسبيح بسبحان ، والمنية بشعوب ، وأم قشعم ، والغدر بكيسان ، وهو فى لغة بنى فهم ، قال(١١٨) :

---

(١١٦) فى المفصل ص ٨ (يزبرها) وكذا فى الايضاح شرح المفصل ٧٦/١ •

(١١٧) الحـواشى الورقة ٤ و •

(١١٨) البيت للنمر بن تولب • ينظر ديوانه ص ١٢٥ ، وهو من قصيدة قالها فى أخواله بنى سعد ، وكانوا قد أغاروا على ابله •

اذا ما دعـوا كيسـان كانت كهـولهم
الى الغدر أدنى من شبابهم المرد(١١٩،٢٢٠)

وعلق فى الحواشى موضحا معنى البيت فقال : « قوله : (اذا ما دعوا) يهجو قوما ، ويصفهم بأنهماك الصغير والكبير فى الغدر ، يقول: اذا ما دعوا الى الغدر فكهولهم أسرع اليه من المرد »(١٢١) .

٤ ـ قال فى المفصل عند حديثه عن المنادى المبهم : « ... واسم الاشارة لا يوصف الا بما فيه الألف واللام كقولك : يا هذا الرجل ، ويا هؤلاء الرجال ، وأنشد سيبويه لخزز بن لوزان :

يا صـاح يا ذا الضامر العنس(١٢٢)

ولعبيـد بن الأبرص :

يا ذا المخـوفنا بمقتل شـيخه
حجر تمنى صاحب الأحلام (١٢٣،١٢٤)

---

(١١٩) كيسان : اسم علم للغدر ، والمرد : جمع أمرد ، وهو من لم يبلغ سن نبات الشعر فى وجهه . وينظر البيت فى : ابن يعيش ٣٨/٢ ، والايضاح شرح المفصل ٩٢/١ ، والمفصل للنعسانى ص ١٠ .

(١٢٠) المفصل ص ١٠ .

(١٢١) الحواشى الورقة ٦ و .

(١٢٢) الضامر : المتغير ، والعنس : الناقة الشديدة .
ينظر البيت فى الكتاب ٣٠٦/١ (بولاق) ، وابن يعيش ٨/٢ ، والايضاح شرح المفصل ٢٧١/١ ، والمفصل ص ٤٠ .

(١٢٣) ينظر ديوان عبيد بن الأبرص ص ١٣٠ ، والكتاب ٣٠٧/١ ، والايضاح شرح المفصل ٢٧٢/١ ، ٢٧٣ ، والمفصل ص ٤١ .

(١٢٤) المفصل ص ٤١ .

وعلق فى الحـواشى على البيت الأول موضـحا معنـاه : ذاكرا الشطر الثـانى للبيت ، كما ذكر رأي البصريين والـكوفيين فى حركة الراء فى (الضـامر) فقـال : « قـوله : (يا ذا الضـامر العنس) قال : وبعده :

الرحل والأقتاد(١٢٥) والحلس

المعنى : والبالى الرحـل ، والكوفيون ينشدون بجـر الراء فى (الضـامر) ، بمعنى : يا ذا الناقة الضـامر ، والبصريون يضـمون الضـامر »(١٢٦) .

وعلق على بيت عبيد بن الأبرص بقوله : « أى : يتمنى تمنى صاحب الأحلام لأنه يخوفهم بدرك الثأر ودرك الثأر تمن »(١٢٧) .

---

(١٢٥) فى المفصل هامش المفصل ص ٤٠ « والرحل ذى الأنساع » وفى الايضاح شرح المفصل ٢٧١/١ « والرحل والأقتاب » ، والأنساع : جمع نسعة بكسر النون ، وهى جلدة تنسج عريضة ، فتكون على صـدر البعير ، والاقتاب : جمع قتب ، وهو الرحل الصغير ، والاقتاد : جمـع قتد ، وهو خشب الرحل ، والحلس : كساء يوضع على ظهر النـاقة . ينظر الصحاح « نسع » ، « قتب » ، « قتد » ، « حلس » .

(١٢٦) الحـواشى الورقة ١٨ و ، وفى الايضاح شرح المفصـل ٢٧١/١ « قال الشيخ ـ رحمـه الله ـ أورد عليه أنه لا يستقيم رفـع « الضامر » فى المعنى ، لأنه عطف على « العنس » قوله : والرحل والاقتاب، فيصير المعنى : الضـامر العنس والضامر الأقتـاب ، وهى لا توصف بالصخور ، فاذن ينبغى : ياذا الضامر بالخفض ، كما أنشدوا الكوفيون ويسقط الاستدلال ، لأنه يصير من باب آخر ليس من باب النداء المبهم .. وينظر ٢٧٢/١ ، والخصائص ٣٠٣/٢ ، ٣٠٣ .

(١٢٧) الحـواشى الورقة ١٨ و .

٥ ــ قال فى المفصل عند حديثه عن الأفعـــال الناقصة : « والتى أوائلها الحرف النافى فى معنى واحد ، وهو استمرار الفعل بفاعله فى زمانه ، ولدخول النفى فيها على النفى جرت مجرى (كان) فى كونهـــا للايجاب ومن ثم لم يجز : مازال زيد الا مقيما ، وخطىء ذو الرمـــة فى قـــــوله :

حراجيج ما تنفك الا مناخة(١٢٨،١٢٩)

وعلق فى الحواشى على البيت موضـــحا معناه فقال : قـــوله : (لا تنفك الا مناخة) ، قال : وفى تصحيح وجيـــه ، وهو أن يريد : لا يفك عن اطلابها ، أى : لا ينفصل عنها الا ولها تقدير احدى هاتين الحالتين : اما الاناخة على الخسف ... أو السير فى البلد القفر . قال : والحرجوج الناقة الضامرة الظاهر ، اشـــتق من الحرج ، وهو النعش »(١٣٠) .

وبعـــــد :

فهذه قبسات من حواشى الزمخشرى على كتابة المعروف بالمفصل.

---

(١٢٨) صدر بيت لذى الرمة ، وعجزه :

على الخسف أو ترمى بها بلدا قفرا

ينظر الكتاب ١/٤٢٨ ، وابن يعيش ٧/١٠٦ ، والأشمونى ١/٢٤٦ ، والايضاح شرح المفصل ٢/٨٤ ، والمفصل شرح أبيات المفصل للنعسانى ص ٢٦٧٨ ، والصحاح (فكك) ، واللسان (فكك) .

(١٢٩) المفصـــل ٢٦٧ .

(١٣٠) الحواشى الورقة ٥٢ ظ .

فى علم العربية أردت أن أضعها بين يدى علماء العربية لما لها من أهمية كبيرة ، فهى مكملة للمفصـــل ، وموضحة لغامضـــه ، ومفصلة لمجمـــله وشـــارحة لشواهده •

ولذا آمل ــ ان شاء الله ــ أن أتمكن من تحقيقها كاملـــة مع كتاب المفصل ، ليعم به النفع ، وتزداد الفائدة ، والله من وراء القصد، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب •